خرائب جرش

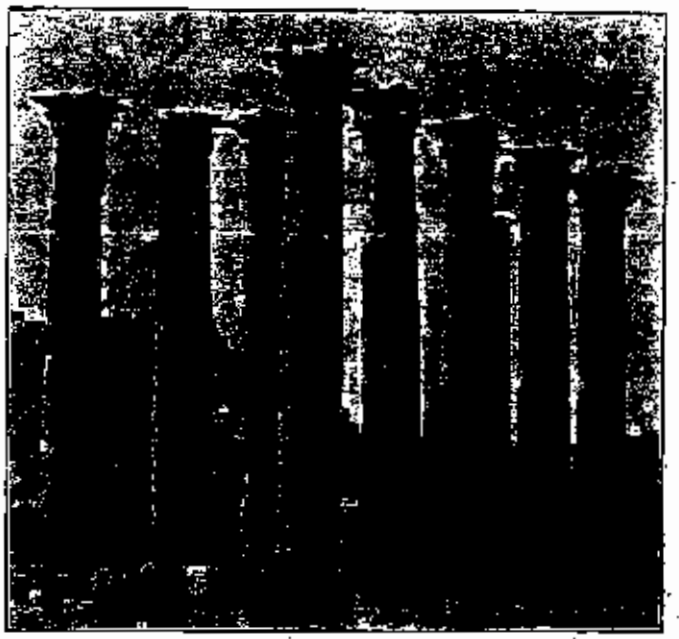

خرائب مدينة جرش في بادية الشام

نشرنا في المجلد السابع والعشرين من المقتطف الصادر سنة ١٩٠٢ مقالات متوالية موضوعها خرائب الشام افتتحناها بمقالة عن آثار مدينة جرش قلنا فيها ما نصهُ

« بعث الينا احد فضلاء دمشق صوراً فوتوغرافية من تصوير سعاد بك مفتش الصحة في الولاية وكتب الينا معها يقول انها صور بعض الآثار القديمة المجثرة في بلاد الشام وطلب منا ان نذكر تاريخها او تاريخ المدن التي بقيت منها. فاخترنا الصورة التي صدَّرنا بها هذه المقالة

« وحسبنا من وصفها ما يرى فيها من الاتساق ودقة الصنعة وانها قاومت الدهر نحو الف سنة مرَّت بها العواصف وهطلت عليها الامطار وترددت عليها الزلازل واتابها الحرُّ والبرد ولكنها بقيت منتصبةً حيث نصبها ابناء سورية الاقدمون تحدِّث بمجدهم السالف وتتحسر على ما اصاب بلادهم من غير الدهر ونوائب الايام

«هذه الاعمدة من آثار جرش احدى المدن العشرة (ذكابولس) التي كانت شرقي نهر الاردن وهي بيسان (سكيثوبولس) وجرش (جراسا) وام قيس (جدارا) وخربة السوسية (هبو) وفاهل (بلا) وعمان (فيلادلفيا) وقنوات (قناثا) وبيت الرأس (كابيتولياس) وادون (ديون) وابل (ابيلا)

وجرش على ٥٥ ميلاً من القدس شمالاً بشرق بين جبال جلعاد على سفحي اكمتين متقابلتين بينهما نهر كروان وهو احد نواصر نهر اليبوق المعروف الآن بالزرقا. ذكرها يوسيفوس المؤرخ وقال ان الملك اسكندر يانيوس قصدها طامعاً بخزائن ثيودوروس فافتتحها عنوة وكان ذلك سنة ٨٥ قبل الميلاد. ثم دخلها انيوس قائد جيوش اسبسيانوس واستباحها نهباً وتخريباً لكنها بقيت رغماً عن ذلك من المدن الكبيرة وكانت من اغنى مدائن فلسطين في القرن

جانب من الفناء (الاقنيو)

الثاني والثالث فبنى فيها انطونينوس بيوس هيكلاً بديعاً للشمس بين سنة ١٣٨ و١٦١ للميلاد ولا يزال احد عشر عموداً من اعمدة واجهته قائماً وهي المرسومة في صدر هذه المقالة طول العمود منها ٤٥ قدماً او نحو ١٤ متراً وقطره خمس اقدام وكان حول هذا الهيكل ساحة كبيرة يحيط بها صفان من الاعمدة لم يبق منها قائماً الا عمودان

«ثم اخفى الدهر على هذه المدينة فلم تعد تذكر الا نادراً ولعلها خربت بزلزلة قبل الاسلام لان فيها آثار كنيسة كبيرة وليس فيها آثار جامع وبقي امرها ضعيفاً

الى زمن العزيزيين فدخلتها جنود الملك بلدوين الثاني سنة ١١٢١ وزاد انحطاطها بعد ذلك فذكرها ياقوت الحموي وقال انها خرائب مهجورة

«وآثارها الباقية الى الآن من اعظم آثار المدن الشرقية فلا يزال فيها ٢٣٠ عموداً من العمد القائمة بعضها من الطراز الكورنثي وبعضها من غيره وفيها مشهد بثمانية

المشهد

وعشرين صفًّا من الماعد تسع ستة آلاف نفس وهي من اكبر ادلة عظمتها السالفة لان مشهداً يسع ستة آلاف نفس للفرض يقتضي ان تكون المدينة التي هو فيها حافلة آهلة بسكانها وهم في رفاهة وبسطة عيش . ومن آثارها ايضاً ستة هياكل كبيرة احدها اعمدة واجهته كورنثية وهو المشار اليه آنفاً وبركة كبيرة كانت تمثل فيها الحروب البحرية ويؤتى اليها بالماء بقناة كبيرة لا تزال آثارها الى الآن وحمامان وقناطر تصر وارزفة كبيرة وكان القسم الداخلي من المدينة مسوراً بسور عظيم محيطه نحو ميلين ولعله كان يحيط بالجانب الحصين منها »

وقد عثرنا الآن على صور اخرى لآثار هذه المدينة رأينا ان ننشر بعضها من ذلك صورة المشهد المشار اليه آنفاً وهو المرسوم فوق وصورة جانب من

الفناء (الافنيو) (١) الذي كان يخترق المدينة وصورة جانب من بناء متهدم يحوي بئراً او ينبوعاً وحوله اربعة اعمدة فخمة كورنثية التيجان من اجمل ما يكون

جانب من بناء متهدم يحوي بئراً او ينبوعاً

وغرضنا من اعادة الكلام على جرش ونشر هذه الصور ترغيب ابناء سورية في مشاهدة الآثار لعلها تقنعهم ان الارض التي كفت لمعيشة اقوام بنوا المدن التي هذه الآثار آثارها تكفي لمعيشتهم اذا عمروها واقناع حكومات شرق الاردن وفلسطين وسورية بان البلاد السورية كلها من الاسكندرونه الى مصر ومن بادية الشام الى البحر المتوسط التي عزت فيها الحضارة منذ ستة آلاف سنة ولم تذل الا منذ نحو عشرة قرون لا يتعذر ان تعود الى سالف عهدها اذا قامت هذه الحكومات بما يجب عليها وسنعود الى وصف هذه الآثار نقلاً عن الاستاذ فارستنغ الانري المشهور

(١) الافنيو لاتينية معناها الاصلي مدخل الدار وهذا هو معنى الفناء بالعربية ولذلك نظن ان الكلمة اللاتينية شاعت في مصر والشام في عهد الحكومة الرومانية فنقلت الى العربية بما يقارب لفظها قبدا اطلقت على الطريق المستقيم المرصل الى البيت او المدينة ولما تعرز ذلك ان ليس لكلمة فناء اصل عربي مشتقة منه